

مفهوم الجمال عند السيِّدة زينب (عليها السّلام)..



مفهوم الجمال عند السيِّدة زينب (عليها السّلام)..

تميزت الصديقة الصغرى (سلام الله عليها) بأن لها قلباً جميلاً يرى كل شيء في الحياة جميلاً، وإن كان لا يتناغم مع رغبات النفس البشرية، بل وإن سبّب لها الألم وجر إليها الحزن والهم طالما كان في سبيل مرضاة الله (تعالى)؛ ولذا فإنها لم ترَ ما حصل في واقعة الطف إلا جميلاً، حيث قالت: " ما رأيت إلا جميلاً " (1)

على الرغم من بشاعة تلك الجريمة الكبرى، حيث الرؤوس مشالات على الرماح، والأجساد الطاهرة مطروحة على الأرض تذروها الرياح، والأفئدة حرّى والأكباد مفتتة من الظمأ، والماء عليها محرم رغم أن كل ما

عجباً لقلبك الملكوتي يا سيدتي، كيف رأيتِ كل ما رأيتِ في الطف جميلاً؟

ولأنها هي العالمة غير المعلمة، فلا بد لتفسير كلماتها وفك ألغاز خطاباتها من علماء يفقهون حديثها ويترجمون مغزاها، وهذه بعض كلماتهم:

أولاً: قد أوضح السيد الطباطبائي (طيب الله ثراه) ذلك في قوله: "فمن الأفعال ما حسنه دائمى ثابت إذا كان ملاءمته لغاية الاجتماع و غرضه كذلك كالعدل، ومنها ما قبحه كذلك كالظلم" الى أن قال: "و من الأفعال ما يختلف حاله بحسب الأحوال و الأوقات و الأمكنة أو المجتمعات ...

و ضرب أمثلة على ذلك إلى أن قال: "وأكل الطعام حسن مباح إذا كان من مال آكله مثلاً، و هو بعينه سيئة محرمة إذا كان من مال الغير من غير رضا منه لفقدانه امتثال النهي الوارد عن أكل مال الغير بغير رضاه، أو امتثال الأمر الوارد بالاعتصام على ما أحل الله" (2)، و مما لا شك فيه أن الإمام الحسين (عليه السلام) لم يخرج بأهل بيته و أصحابه إلا امتثالاً لأمره (عز وجل) و بالتالي فإن كل ما تعرضوا له على قساوة منظر صورته الملكية، فإنه الغاية في الحسن و الجمال في صورته الملكوتية .

ثانياً: ما جرى في واقعة الطف قبيح، وترك الدين بيد الطغاة يحرفونه كيفما يشاؤون قبيح أيضاً، إلا أن ترك الدين يُحرف والشريعة تزيف أقبح مما جرى في الطف، وما جرى في الطف أحسن من تحريف الدين وتزيف الشريعة، فيحكم العقل بالتعرض لواقعة الطف قضاءً لتقديم الأرح على الراجح، فإن تقديم الراجح على الأرح قبيح عند العقل (3)

ثالثاً: ذكر السيد الطباطبائي (قده) أيضاً: "فإن الحسن موافقة الشيء و ملاءمته للغرض المطلوب و الغاية المقصودة منه" (4)

وعندما ننظر الى واقعة كربلاء بهذا المنظار نجد أنها غاية في الحسن والجمال؛ وذلك لأنها وإن أثقلت بكل ما تحمله من صورٍ تَكْذِبُ كَلِمَةَ الْفؤَادِ كَلِمَةً، ويعتصر لها القلب حزناً وألماً، فهي أيضاً أشرفت بقرابين عظيمة □ (تعالى) العظيم، ولشرعه القويم، كان هدفها إعادة الأمة المحمدية الى الصراط المستقيم، الذي شرعت بالانحراف عنه، منذ أن نُحِيتَ عن منصبه من كان للرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) بمنزلة هارون من الكليم، بيدَ أن مصلحة خاتم الأديان ورعايته من التحريف اقتضت من □ الحكيم أن لا يقوم بالإصلاح في الأمة إلا الذبح العظيم، الحسين الشهيد الذي وصفه بذلك القرآن الكريم.

وعليه فقد وصفت العقيلة زينب (عليها السلام) ما رأته بالجمال وذلك لـ (أن دين الاسلام الخاتم للأديان قد تعرض بسبب انحراف السلطة لخطر التحريف و التشويه، بحيث تضيع معالمه، ولا يتيسر الوصول و التعرف عليه لمن يريد ذلك، كما حصل في الأديان السابقة، وأن الإمام الحسين (عليه أفضل الصلاة والسلام) قد واجه ذلك الخطر، ودفعه بنهضته المقدسة، وما استتبعها من تضحيات جسام)(5).

وقد تأكد هذا المعنى أيضاً في زيارة الأربعين للإمام الحسين (عليه السلام) حيث نقرأ فيها: " فأعذرَ في الدُّعاءِ ومنحَ الذُّمَّحَ وبذلَ مُهَجَّتَهُ فيكَ ليستنقذَ عبادَكَ من الجهالةِ وحيرةِ الصَّالِةِ . (6) "

كما أن قولها (صلوات ربي عليها): " ما رأيت إلا جميلاً " شهادةٌ لها بأنها قد حازت على أرفع درجات اليقين؛ لأنه يمثل عين الرضا بقضاء □ (تعالى) و قدره، و قد روي عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) أنه قال: "أعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع، وأعلى درجة الورع أدنى درجة اليقين، وأعلى درجة اليقين أدنى درجة الرضا" (7)

وعن الإمام الصادق (عليه السلام): "الرضا بمكروه القضاء من أعلى درجات اليقين" (8).

(1) ابن طاووس ، اللهوف في قتلى الطفوف ص67

(2) الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن ج5 ص10

(3) أنظر : محاضرات في الالهيات للشيخ السبحاني ص170

(4) الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن ج5 ص10

(5) السيد محمد سعيد الطباطبائي : فاجعة الطف 143 و144

(6) الطوسي : مصباح المتهدد 788

(7) الري شهري : ميزان الحكمة ج4 ص144